﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: 128]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَعْدَ بيانِ جَزاءِ المُتَمَسِّكينَ بِالصِّراطِ بيَّنَ جَزاءَ أضْدادِهم

لَمَّا اشْتَمَلَ سياقُ الآياتِ السّالفَةِ عَلى أحوالِ المتمَسِّكينَ بِالصِّراطِ ووعدِهِم بالنَّعيمِ في دارِ السَّلامِ، وبما تفضّلَ عَلَيهم بِولايَتِهِ في الدُّنيا والآخرَةِ، غِبَّ ذلكَ كلِّه "بيَّنَ بعدَهُ حالَ مَنْ يكونُ بِالضِّدِّ مِنْ ذلكَ لِتكونَ قِصَّةُ أهلِ الجنَّةِ مُردفَةً بِقِصَّةِ أهلِ النَّارِ ولِيكونَ الوَعيدُ مَذكورًا بعدَ الوَعدِ"[1]، فَوَصَلَ ذلكَ بِالجزاءِ في آخرَتِهِ عَلى ما كَسَبَهُ المرءُ في دُنياهُ؛ فَقفَّى بِذِكْرِ الحشْرِ، وبَعضِ ما يَكونُ فيهِ مِنْ جِدالٍ بينَ الكافرينَ تابعينَ ومتبوعينَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰمَعْشَرَ﴾: اسمٌ على وزنِ (مَفْعَل) جذرهُ اللُّغَويُّ (عشر)، ولهُ أصلان صحيحانِ، أحَدُهُما يَدُلُّ عَلى المخالَطَةِ والمداخَلَةِ، ومِنهُ عَشيرةُ الرَّجُلِ لمعاشَرَةِ بَعضِهِمْ بَعضًا؛ ولأنَّ الرَّجُلَ يَتكَثّرُ بِهِمْ، أيْ: يَصيرُ بِهِمْ بِمَنزِلَةِ العَدَدِ الكاملِ أخْذًا مِنَ العددِ (عَشَرَة) الدّالِّ عَلى الكَمالِ عِندَ العَرَبِ؛ وكلُّ جَمعٍ كانوا عَلى أمرٍ واحدٍ فهُمْ مَعشَرٌ، وعمومُ المعشَرِ القومُ المتداخِلونَ المترابطونَ الَّذين يجمَعُهُمْ شَيءٌ مُشترَكٌ[2]، ومِنهُمُ العَشيرةُ والمسلمونَ والمشركونَ والإنسُ والجنُّ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عشر).

ونحوُهمْ؛ والمعشَرُ كالقَومِ والرَّهْطِ اسْمُ جَمعٍ لا واحدَ لهُ مِنْ لَفظِهِ. والمعشَرُ في الآيةِ همُ الجماعةُ، وهُمْ شياطينُ الجنِّ عَلى وجْهِ التَّحديدِ[1].

2) ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم﴾: فعلٌ ماضٍ مُسنَدٌ إلى الجَمَاعَةِ، والجذرُ اللُّغَويُّ فيهِ (كثر)، والفعلُ منهُ كثُرَ يكثُرُ، والأصلُ فيهِ أنَّهُ يَدُلُّ عَلى الكَثْرَةِ والزِّيادةِ في عَددِ أفرادِ ذلكَ الشَّيءِ بالنِّسبَةِ لِلمُعتادِ أو المتَوقَّعِ[2]، وأصلُ مَعنى الكَثرةِ في لُغةِ العرَبِ خِلافُ القِلَّةِ، واستكثرْتُ مِنَ الشَّيءِ، أيْ: أكثرْتُ مِنهُ، ومَعنى ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ في الآيةِ: الكَثْرةُ المعروفَةُ، إلَّا أنَّها هُنا مُتَعَلِّقَةٌ بِالإضلالِ، أي: أضْلَلْتُم كثيرًا مِنَ الإنسِ[3].

3) ﴿ٱسْتَمْتَعَ﴾: فعلٌ ماضٍ مَزيدٌ، جَذرُهُ اللُّغَويُّ (متع)، ومِنهُ المَتاعُ وهوَ كلُّ شَيءٍ يُنتفَعُ بهِ ويُستزادُ مِنهُ، والأصلُ في مَعناهُ "مَنفعةٌ وامتدادُ مُدَّةٍ في خَيرٍ، مِنهُ استمتَعْتُ بالشَّيءِ، والمتعَةُ والمتاعُ: المنفعَةُ"، ويَقترِنُ الانتفاعُ بالوقتِ الممتَدِّ، وفيهِ مَعنى التَّوسُّعِ، وفي ﴿ٱسْتَمْتَعَ﴾ طلَبُ التَّمتُّعِ؛ فكلٌّ مِنَ الفَريقَينِ كانتْ لهُ رَغبةٌ في الاستمتاعِ، فاستمتَعَ الجنُّ بالإنسِ واستمتَعَ الإنسُ بالجنِّ، ومِنْ معاني التَّمتُّعِ الاسْتِلذاذُ بالشَّيءِ طعامًا أوْ شرابًا في البدَنِ أوْ نَحْوِهِ[4]. ومَعنى ﴿ٱسْتَمْتَعَ﴾ في الآيةِ: المنفعَةُ المتبادَلَةُ بينَ الإنسِ والجنِّ، ولَها وجوهٌ كثيرةٌ ذكرَها المفسِّرونَ، وجُلُّها مذكورَةٌ في فَقرةِ الإيضاحِ البَلاغيِّ.

4) ﴿وَبَلَغْنَآ﴾: فعلٌ ماضٍ مُسندٌ إلى الجَمَاعَةِ، جَذرُهُ اللُّغَويُّ (بلغ)، وهوَ أصلٌ يَدُلُّ عَلى الوصولِ إلى المرادِ، فإذا وصلْتَ المكانَ المقصودَ فقَدْ بلغْتَهُ، وبلَغَ يَبلُغُ بمعنى: وصَلَ مِنْ "بلغْتُ المكانَ بُلوغًا: وصلْتُ إليهِ، وكذلكَ إذا شارفْتُ عَلَيهِ"، ومِنْ مَعانيهِ الانْتِهاءُ إلى أقْصى المرادِ مِنْ جِهَةِ المكانِ، أوِ الزَّمانِ، أوْ أيِّ أمرٍ مِنَ الأمورِ المُقدَّرَةِ، وقدْ تُسمّى المشارَفَةُ عَلى الوُصولِ بُلوغًا[5]، ومَعنى بَلَغْنا أجَلَنا في الآيةِ، أي: وصَلْنا أجَلَ الموتِ، وأجَلَ البَعثِ[6].

5) ﴿أَجَلَنَا﴾: اسْمٌ ثُلاثيٌّ، الجَذرُ اللُّغَويُّ مِنهُ (أجل)، أصلٌ يَدُلُّ عَلى غايةِ الوقتِ في

(1) الخطيب الشّربيني، السّراج المنير: 1/449.
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كثر).
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 1/482.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (متع).
(5) الجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بلغ).
(6) ابن القيّم، بدائع التّفسير: 1/371.

الدَّيْنِ، والاسْمُ مِنهُ الآجِلُ نَقيضُ العاجِلِ، ويُقالُ لِلمُدَّةِ المضروبَةِ لِلشَّيءِ كَحياةِ الإنسانِ: أجَلٌ، فدَنا أجَلُهُ: اقْتَرَبَ مَوتُهُ، وحقيقتُهُ اسْتيفاءُ مُدَّةِ حَياتِهِ، وليسَ بعدَ الاسْتيفاءِ إلّا الموتُ، وعُمومُ الأجَلِ دالٌّ عَلى التَّوقيتِ، والأجَلُ آخِرُ الأوانِ وغايةُ الوقتِ إلى الموت[1]. ومَعنى ﴿أَجَلَنَا﴾ في الآيةِ: يَشْمَلُ أجَلَي الموتِ والبَعْثِ، فَهُما الأجَلانِ اللَّذانِ أجَّلَهُما اللهُ تَعالى لِعبادِهِ[2].

6) ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾: المثوى مَفْعَلٌ مِنْ ثَوى، جَذرُهُ اللُّغَويُّ مِنْ (ثوي)، والأصلُ فيهِ الإقامَةُ، وزادَ بعضُهُمُ الاسْتقرارَ عَلى الإقامَةِ، وهوَ اسْمُ مَكانٍ أو اسْمُ الموضِعِ، والثّاوي مَنْ طالَتْ إقامَتُهُ، ويجوزُ أنْ يكونَ مَصدرًا لا اسمَ مكانٍ[3]. والمعنى في الآيةِ: النّارُ هيَ موضِعُ إقامَتِكمْ، فيكونُ اسْمَ مَكانٍ، أوْ عَلى جَعْلِهِ مَصدرًا بمعنى الثَّواءِ؛ لِيكونَ عامِلًا في الحالِ عَلى تَقديرِ: تَثوونَ فيها خالِدينَ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عَـلائـقُ أهْـلِ الـلَّـذّاتِ زائلةٌ ضَارّةٌ ومُستقرُّها نارُ الآخِرةِ

واذكرْ - يا أيُّها الرَّسولُ ﷺ أو أيُّها العاقلُ - يومَ نحشرُ الضّالّينَ والمُضِلّينَ جميعًا مِنَ الإنْسِ والجنِّ، فنقولُ لِلمُضلّينَ مِنَ الجنِّ: قَد أكثرْتُم مِنْ إغوائكُمُ الإنسَ وإضلالِكُمْ إيّاهُم، أو قَدْ أكثرْتُمْ مِنهُم بِأنْ جعلتُموهُمْ أتباعَكُم، وأهلَ طاعتِكُم، ووسْوَسْتُمْ لَهُم بِالمعاصي حتّى أوردْتموهُمْ هَذا المصيرَ الأليمَ. فردَّ أولياءُ الجنِّ مِنَ الإنسِ أنَّ مُتعةَ الطّاعَةِ بينَنا في الضَّلالِ والكُفرِ مُتبادَلَةٌ، وقَدْ بلغْنَا الآن الوقتَ المضروبَ لَنا، والمَعْنى: قالَ اللّه تَعالى لِهَؤلاءِ الظَّالمينَ: فالنّارُ مُستقرُّكمْ ومَثواكمْ، فأنتمْ خَالِدُونَ فيها في كُلِّ وقتٍ إلَّا في وقتِ

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (أجل).
(2) ابن القيّم، بدائع التّفسير: 1/371.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (ثوي).
(4) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 2/691 - 692.

مَشيئةِ اللّهِ بخلافِ ذلك؛ مُبالغةً في الخُلودِ، وهذا مَصيرُكُم بِما اقتضتْهُ حِكمتُهُ وعِلمُهُ تَعالى[1].

وتُرشِدُ الآيةُ إلى أنَّ مَرَدَّ الأمورِ كلِّها إلى مشيئةِ اللّهِ، وأنَّ خلودَ المشركينَ في نارِ جَهنَّمَ إنَّما هوَ بمحضِ مَشيئَتِهِ، ولو شاءَ غيرَ ذلكَ ما خُلِّدوا، وفيهِ إلى جانبِ ذلكَ تنكيلٌ آخَرُ بِهؤلاءِ الأشقياءِ؛ لِأنَّهمْ قَدْ صاروا في حَيْرةٍ دائمةٍ مِنْ أمرِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصْلِ في الآيةِ:

ذِكْرُ الضِّدِّ بعدَ ضِدِّه يُنبِّهُ العقلَ السَّليبَ

الآيةُ مَوصولةٌ بِما قبلَها بِالعَطفِ؛ فإنَّهُ لَمّا ذكرَ ثوابَ القَومِ المتذكِّرينَ بِالآياتِ؛ وهوَ ثَوابُ أهلِ الجنَّةِ، ناسبَ أنْ يَعطِفَ عَلَيهِ هذهِ الآيةَ الَّتي تُشيرُ إلى جَزاءِ الغافلينَ غَيرِ المذَّكِّرينَ بِتلكَ الآياتِ، وهوَ جزاءُ الآخرةِ[2].

بَيانُ التَّعبيرِ بقولِه تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ دونَ مُرادفاتِه:

اجتماعُ النَّاسِ في الدُّنيا بإرادتِهم وحشْرُهم في الآخرةِ بإرادةِ خالِقِهم

والتَّعبيرُ بالحشرِ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بيانُهُ أنَّ الحشرَ في لُغةِ العرَبِ مَعناهُ الجَمعُ، فالحقُّ ﷻ يَجمَعُ الأوَّلينَ والآخِرينَ مِنَ الخَلائقِ مِنَ الإنسِ والجنِّ يومَ القيامَةِ في صَعيدٍ واحدٍ، فالدّاعي يُسمِعُهمْ والبَصَرُ نافِذٌ فيهمْ[3].

والتَّعبيرُ بِحَشرِهمْ فيهِ إشارتانِ بَيانيَّتانِ، الأولى: أنَّ الحقَّ ﷻ يَجمَعُهمْ غَيرَ مُختارينَ ولا مُريدينَ، والثّانية: أنَّ الحشرَ يومِئُ إلى كَثرتِهم الكاثرةِ الَّتي لا تمنعُهُ تَعالى مِنْ جَمْعِهمْ وحِسابِهمْ عَلى أعمالِهمْ[4].

(1) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 5/177.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ66.
(3) الشّنقيطي، العذب النّمير: 2/228.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2667.

عِلَّةُ التَّعبيرِ عَنْ حَشْرِهِم بِالفِعلِ المضارعِ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾:

تَصويرُ الحشْرِ كأنَّهُ مُشاهَدٌ تَراهُ العُيونُ

وجاءَ بِصيغَةِ المضارعِ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنَّهُ أرادَ أنْ يُمثِّلَ خَبرَ الحشرِ بِصورةِ ما يَقعُ في حِسابِهِمْ في ذلكَ اليوم، ثمَّ يُفضي بِهِمْ إلى النَّارِ خالِدينَ فيها[1]، فكأنَّهُ حاصِلٌ مُشاهَدٌ حاضِرٌ الآنَ تراهُ العُيونُ، فهوَ أبلَغُ وَقعًا مِنَ التَّعبيرِ بِهِ في زَمَنٍ آخَرَ.

تَوجِيهُ القراءاتِ القُرآنيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾:

التَّعبيرُ بِنُونِ العَظَمةِ تَهويلٌ لِلأمرِ وبالياءِ إخبارٌ عنِ الفِعْلِ

عبَّرَ بـ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياءِ في روايةِ حَفصٍ عَنْ عاصِمٍ ورَوْحٍ عَنْ يَعقوبَ، للإخبارِ فيما سيكونُ في ذلك اليوم، فيما قَرأَها الباقونَ ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾[2] تَعبيرًا بالنّونِ العائِدَةِ عَلَيهِ سبحانَهُ لِلتَّعظيمِ والتِفاتًا مِنَ الغَيبَةِ إلى الخطابِ تهويلًا لِلأمرِ[3]، وتَحذيرًا مِنْ ذلكَ اليومِ العَظيمِ.

فائِدةُ إسنادِ الحشْرِ إلى ضَميرِ الجلالةِ:

المُنادِي يومَ الحَشرِ هو الله تعالى

لَمّا كانَ فِعلُ الحشرِ في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ مُسنَدًا إلى الضَّميرِ العائدِ عَلَيهِ سبحانَهُ، تعيّنَ أنْ يكونَ النِّداءُ مِنهُ تَعالى أو عن أحدٍ من ملائكتِه بأمرِه؛ "فتعيّنَ لِذلكَ إضمارُ قَولٍ صادرٍ مِنَ المُتكلِّمِ، أيْ: نقولُ: يا معشرَ الجنِّ؛ لأنَّ النِّداءَ لا يكونُ إلَّا قولًا"[4]، وما بعدَهُ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ مَقولُ القَولِ.

تَوجِيهُ عَوْدِ الضَّميرِ في قولِه تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾:

حَشْرُهُ تَعالى يومَ القيامَةِ يَشمَلُ المؤمنينَ والكافرينَ مِنَ الجنِّ والإنسِ

الضَّميرُ في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ يعودُ عَلى مَنْ وقعَ عَلَيهِمُ الرِّجسُ مِنَ الطّائفَتَينِ مِنَ الإنسِ والجنِّ، وعَلى الَّذينَ اسْتَحَقُّوا الجزاءَ الأَوفى مِنْ جنَّتِهِ تَعالى دارِ السَّلامِ جِنًّا وإنسًا[5].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ66.

(2) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات: 269، وابن الجزري، النّشر في القراءات العشر: 2/262.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/184.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ66، والشّنقيطي، العذب النّمير: 2/227.

(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/345، وجعلَهُ ابْنُ عاشور راجعًا إلى الشَّياطِين وأوليائِهم فقط، يُنظر: التّحرير والتّنوير: 8/أ66.

ويُحتمَلُ أنْ يَعودَ الضَّميرُ في ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ عَلى الشَّياطينِ الواردِ ذكرُهُم قَبلَ هذهِ الآيةِ - بِعدَّةِ آياتٍ - وهوَ قَولُهُ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 112].

سِرُّ التَّوكيدِ بـ ﴿جَمِيعًا﴾:

تعيينُ دُخولِ الجِنِّ والإنسِ جميعًا في الخطابِ

سِرُّ التَّوكيدِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا﴾ بِلَفظِ جَميعًا[1] - وهوَ لَفظٌ دالٌّ عَلى رَفعِ تَوهُّمِ عَدمِ إرادةِ الشُّمولِ -، وسِرُّ اسْتعمالِهِ في الجملةِ هُوَ رَفْعُ تَوهُّمِ عَدمِ إرادةِ شُمولِهِ في الخطابِ الطّائفتَينِ: المؤمنينَ والكافرينَ؛ جِنِّهِمْ وإنسِهِمْ[2]؛ فإنَّهُمْ داخلونَ في خِطابِ الحشرِ، وجاءَ بـ ﴿جَمِيعًا﴾ لِمَنْ يَتوهَّمُ أنَّ قِسمًا مِنهُمْ غَيرُ داخلٍ في ذلكَ الحُكمِ.

ويَحتمِلُ التَّوكيدُ في قَولِهِ تَعالى: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا﴾ أنْ يَدُلَّ عَلى العُمومِ ليشمَلَ المشركينَ كلَّهم وسادتَهُم وشياطينَهُم وما سِوى ذلكَ مِمَّنْ تَعلَّقوا بِهِم[3].

فائِدةُ التَّعبيرِ بِاسْمِ الجَمْعِ (مَعْشَر):

التَّنبيهُ على خَطَرِ المعاشَرَةِ والمُخالَطةِ

قَولُهُ تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾ بمعنى مَنِ اجْتمَعوا عَلى شأنٍ واحدٍ، كأنْ يَجمَعَهُمْ عَمَلٌ أوْ تَجمَعَهُمْ صِفةٌ، وهوَ اسْمُ جَمعٍ[4]، واشْتقاقُهُ مِنَ المعاشَرَةِ والمخالَطةِ، وهوَ يُطلَقُ عَلى الإنسِ والجنِّ، ولا يَعني أنَّ المعشرَ يُرادِفُ لَفظتَي الإنسِ والجنِّ، وإنَّما يُضافُ إليهِ مِنْ بابِ البَيانِ[5].

(1) لفظٌ منْ ألفاظِ التّوكيدِ المَعنويِّ يُقصَدُ مِنهُ رفعُ تَوهُّمِ إرادةِ الخاصِّ، أو عدمِ إرادةِ الشُّمولِ، فإذا قيلَ: وصلَ القومُ جميعًا، أريدَ وصولُهم فردًا فردًا، فلم ينذَّ أحدٌ مِنهُم عنِ الوصولِ. يُنظر: ابن مالك، شرح التّسهيل: 3/289.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/345.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ66.

(4) اسمُ الجمعِ مصطلحٌ صرفيٌّ يُعنى بهِ ما لا واحدَ لهُ مِنْ لَفظِه، لكنْ مِنْ مَعناه، مثلُ: قومٍ ورهطٍ، وفإنَّ مفردَه امرؤٌ، بخلافِ رَكْبٍ، فإنّ مفردَه راكبٌ. يُنظر: الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص: 98.

(5) رضا، تفسير المنار: 8/55.

دَلالةُ نِداءِ المعشَرِ:

النّداءُ مُؤْذِنٌ بالتّبكيتِ والتّوبيخِ

دلَّ النِّداءُ في قَوله تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ على مَعنى التَّبكيتِ والتَّوبيخِ حينَ لا يَجدونَ دَفعًا ولا نَصرًا لأنفُسِهمْ أصلًا[1]. و"خصَّهم بالنِّداءِ؛ لأنَّهمُ الأصلُ في المكْرِ"[2].

بَيانُ إضافةِ المعشَرِ إلى الجنِّ:

أُضيفَ الاسْمُ لِبَيانِ الصِّفَةِ الجامِعَةِ وهيَ صِفةُ الجنِّيّةِ

وأضافَ المعشَرَ إلى الجنِّ في قَولِهِ تَعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ وهيَ إضافةٌ شائعةٌ كثيرةٌ بإضافَتِه "إلى اسْمٍ يُبيِّنُ الصّفةَ الَّتي اجتمَعَ مُسمّاهُ فيها، وهيَ هُنا صِفةُ كَونِهمْ جِنًّا"[3]؛ فصِفتُهم الجنِّيّةُ مسوّغٌ للتَّعبيرِ باسْمِ الجَمعِ عَلى هذهِ الصِّيغةِ.

بَلاغةُ الإيجازِ بالحذْفِ في قَولِهِ تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾:

تعدُّدُ احتِمالِ القائلِ فيه مَزيدُ تهويلٍ وتفْخيمٍ

وجملةُ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ فيها إيجازٌ بالحذفِ عَلى تقديرِ محذوفٍ منَ الكلامِ، أي: نَقولُ لِلجنِّ، فَحذَفَهُ مُستغنيًا بالمذكورِ ومُكتفيًا بِما ظهرَ مِنَ الكلامِ السّابقِ عَلَيه[4].

وقدْ يكونُ الحذفُ في هذهِ الجملةِ عَلى تقديرِ فعلِ القَولِ مَبنيًّا للمفعولِ (فيُقالُ لَهمْ)؛ لاسْتِبعادِ أنْ يُكلِّمَهُمُ اللّهُ شفاهًا[5]؛ تَحقيرًا لَهُم وتَصغيرًا لِشأنِهم، وآيةُ ذلكَ قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: 174].

وحَذْفُ الفعلِ (نَقولُ)؛ والقائلُ هوَ اللّهُ تعالى في ذلكَ اليومِ بعدَ الحشرِ، غرضُهُ التَّبكيتُ والتَّوبيخُ؛ فإنَّهمْ مَهما عتَوْا وتمرَّدوا في الدُّنيا فسَيَنتهي حالهُمْ في الآخرةِ إلى الانْقيادِ والخُضوعِ والاعْترافِ بِجُرمِهِمُ المرتَكَبِ[6].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/267.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 4/488.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/67أ.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/115، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/345.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/643.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

عِلَّةُ التَّعبيرِ عَنِ الشَّياطينِ بالجِنِّ:

وجـهُ الشَّبَهِ الاختفاءُ والغَوايةُ بالوَسوَسةِ والتَّخييلِ وغيرِهما

وعبَّرَ عَنِ الشَّياطينِ بالجنِّ في قَولِه: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾؛ لأنَّ أصلَ الجنِّ مِنَ الاجْتِنانِ؛ وهو الخَفاءُ وعَدمُ الظُّهورِ؛ فكلُّ ما يَخفى عَلَيكَ فهوَ مجنونٌ عَنكَ[1]، والشَّياطينُ داخِلونَ في هذا المعنى بجامِعِ الخَفاءِ؛ فالجنُّ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، خُلِقوا مِنْ نارٍ، وهُم يَستَطيعونَ أنْ يَتحوَّلوا إلى أشكالٍ مُختلِفَةٍ، ويعيشونَ في الأرضِ معَ الإنسانِ، ومِنهُم مُؤمنونَ وكافِرونَ، والشَّياطينُ همُ العُصاةُ مِنَ الجنِّ، وهُم أتباعُ إبليسَ في عداوتِهِ لآدمَ وذُرِّيَّتِه، فَضْلًا عَنْ كَونِهِمْ يُغوونَ النّاسَ بالوَسوَسةِ والتَّخييلِ وغَيرِ ذلكَ؛ فتخيَّلَ النّاسُ أنَّ لَهمُ القُدرَةَ والجبروتَ؛ فَباتوا يَتوسَّلونَ إلَيهِمْ، ويحاولونَ إرضاءَهمْ، وكانوا يَظنّونَ أنَّ الفيافيَ والوِديانَ مَقَرٌّ لِلجنِّ فكانوا يَستجيرونَ بِهِم[2].

دَلالةُ استعمالِ أداةِ ﴿قَدِ﴾:

تأكيدُ إيغالِ الجِنِّ في إضْلالِ كثيرٍ منَ الخلْقِ

واسْتعمالُ الحرفِ ﴿قَدِ﴾ في قَولِه: ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾ لإفادةِ التَّحقيقِ والتَّوكيدِ[3] فقدْ أَوغلَ شياطينُ الجنِّ في إضلالِ الجَمْعِ الكَثيرِ مِنَ الإنسِ حتّى أوردوهُمُ المهالِكَ الَّتي ساقَتْهُمْ إلى نارِ جهنَّمَ.

تَوجيهُ التَّعبيرِ بصِيغَةِ الاسْتفعالِ في ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾:

كثرةُ الإغواءِ مَهلكةٌ لأصحابِ الأهواءِ

والتَّعبيرُ بقَولِه: ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾ لا يدُلُّ عَلى الطَّلبِ كَما هوَ الشّائعُ في صيغَةِ الاسْتفعالِ[4]، إنَّما دلالتُهُ عَلى أخْذِ الكثيرِ، كما يُقالُ: استكثرَ الأميرُ مِنَ الجنودِ، أيْ: أخذَهُمْ وجعلَهُمْ تحتَ إمرَتِه، وكذلكَ اسْتكثرَ فلانٌ مِنَ المالِ، أي: أكثرَ مِنْ جَمْعِهِ؛ والمرادُ مِنْ هذهِ الصّيغَةِ المبالَغَةُ كالاسْتسلامِ والاسْتكبارِ ونحوِها[5].

(1) الشّنقيطي، العذب النّمير: 2/230.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ68.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/222.
(4) العكبري، اللّباب في علل البناء والإعراب: 2/277.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ67.

دَلالةُ اسْتِعمالِ حرفِ ﴿مِّنَ﴾:

(من) تُفيدُ بَيانَ الـشَّيءِ المتَّخَذِ كـثـيرُهُ؛ وهـمُ الإنسُ

﴿مِّنَ﴾ في قَولِهِ: ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ بيانيّةٌ؛ لأنَّها تُبيِّنُ الشَّيءَ، أي: جنسَ ما قبلَها أو نوعَهُ[1]، كقَولِهِ تَعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، فـ ﴿مِنَ﴾ لِبَيانِ الجِنسِ؛ فإنَّ القرآنَ كُلَّهُ كَذلك: نُنزِّلُ القرآنَ الَّذي فيهِ تَقويمُ دينِهِم واسْتِصلاحُ نفوسِهِم؛ كالدَّواءِ الشَّافي لِلمَرضى؛ وهوَ هُنا - في آية الأنعام - المتَّخَذُ كثيرُهُ، كقولِهِم: اسْتَكثرَ مِنَ المالِ أو اسْتَكثرَ مِنَ النِّعَمِ[2]؛ والمعنى قدْ أضَلّوا كثيرًا مِنَ الإنسِ.

فائِدةُ تَعْدِيةِ الاسْتكثارِ بـ ﴿مِّنَ﴾:

تَـعْـيـينُ معنَى الاسْـتِـكْـثـارِ بالإضْلالِ

جعلَ الفعلَ ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾ مُتعدّيًا بـ ﴿مِّنَ﴾ لا بنَفسِهِ؛ وسِرُّ ذلكَ لأجلِ أنْ يُفرَّقَ بينَ هذا الفِعلِ وبينَ (اسْتكثرَ) الدّالِّ عَلى عدِّ الشَّيءِ كثيرًا[3] كقولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدَّثِّر: 6] أي: ترى ما تُعطيهِ كثيرًا.

فائِدةُ المجازِ بحَذْفِ المضافِ في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾:

تَـصْـويـرُ الاسْتِكثارِ كأنَّه واقِعٌ عَلى الإنسِ أنفُسِهِم

وقولُهُ تَعالى: ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ لَيسَ مِنْ بابِ الحقيقةِ، بلْ فيهِ حذفٌ، وتقديرُه: (قدِ استكْثَرتُم من إضلالِ الإنسِ)، ولا بُدَّ فيهِ مِنَ التّأويلِ؛ فالجنُّ غَيرُ قادرينَ عَلى أنْ يَسْتكثِروا مِنَ الإنسِ بأعيانِهِم؛ فإنَّ المتصرِّفَ بأعيانِهِم في الدُّنيا والآخرةِ هوَ اللّهُ تَعالى، إنَّما المرادُ أنَّكُمُ اسْتكثَرتمْ مِنْ دُعائِكمْ لَهمْ بالضَّلالِ معَ مُصادَفةِ قبولِهِمْ[4]، وقَدْ نزَّلَهمْ هنا مَنزلةَ الحقيقةِ؛ فلِشدَّةِ مُطاوعتِهِمْ إضلالَكُمْ جعلَ الاسْتِكثارَ كأنَّهُ واقِعٌ عَليهِمْ أنفُسِهِمْ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/184.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ67.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ67.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/148، وزاده، حاشية على البيضاوي: 4/141.

وقولُهُ تعالى: ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ فيهِ إيجازٌ بالحذفِ؛ فإنَّ التَّقديرَ: قَدْ أضلَلْتُم خَلقًا كثيرًا مِنَ الإنسِ، أوْ مِنْ إغوائِهِمْ وكثَّرتُم أتباعَكُم مِنهُم حتّى أوردتموهُمُ المهالِكَ، فحُشِروا معَكُم في العاقِبَةِ؛ وفي الكَلامِ تَوبيخٌ لِلجنِّ وإنكارٌ لإضلالِهِمُ الإنسَ وإغوائِهِم[1].

بَلاغةُ التَّعريضِ في ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾:

الإنسُ واقعونَ في مَرمَى التَّوبيخِ عَلى طاعَتِهِم الجنَّ

والحديثُ في ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾ وإنْ كانَ خطابًا لِلجنِّ، إلَّا أنَّهُ مِنْ بابِ التَّعريضِ بِتَوبيخِ الإنسِ في أنَّهُمْ أطاعوا الجنَّ طاعةً عَمياءَ، وأفرَطوا في مَرضاتِهِمْ، ولمْ يَسمَعوا التَّحذيرَ مِنْ مُتابعتِهِمُ المفضيَةِ بِهِمْ إلى الضَّلالِ المُوصِلِ إلى الجَحيمِ[2].

تَوجيهُ الفَرقِ بينَ وِلايَةِ اللهِ تَعالى، ووِلايَةِ الشَّيطانِ:

ولايةُ اللهِ نَصرٌ وتمكينٌ؛ ومآلُها الجنَّةُ، وولايةُ الشَّيطانِ غَوايةٌ ومآلُها جهنَّمُ

ذكرَ في الآيةِ السّابقةِ وِلايتَهُ تَعالى لِلمؤمنينَ، وهيَ أنْ يكونَ الحقُّ ﷻ ناصِرَهُمْ والمتكفِّلَ بِأُمورِهِمْ فلا يكِلُهُمْ إلى أحَدٍ سِواهُ[3]، وذكَرَ هنا ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ أيْ: أولياءُ الشَّياطينِ؛ وهُمُ المشركونَ مِنَ الإنسِ الموالونَ لَهُمُ المنقَطِعونَ إلَيهِمْ[4]، وثمّةَ فَرقٌ بينَ الوِلايتَينِ؛ فوِلايَتُهُ تَعالى لِأَوْلِيائِهِ مُفضِيَةٌ إلى الجنَّةِ دارِ السَّلامِ، ووِلايَتُهُمْ لِلشَّياطينِ مُفضِيَةٌ إلى جهنَّمَ دارِ الجحيمِ.

بَلاغةُ الوَصْلِ في جُملةِ المقاوَلَةِ:

كلامُ الإنسِ دَخيلٌ في المقاوَلَةِ

عطَفَ جملةَ: ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ عَلى جملةِ القَولِ المقدَّرِ ولمْ تُفصَلْ؛ لأنَّ هؤلاءِ الأولياءَ لمْ يكونوا مُخاطَبينَ ابْتداءً، وكلامُهُمْ أتى عرَضًا دخيلًا في المخاطَبةِ[5].

(1) زاده، حاشية على البيضاوي: 4/142.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ68.
(3) الخطيب الشّربيني، السّراج المنير: 1/449.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ68.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ69.

سِرُّ الاقْتِصارِ عَلى حِكايةِ جَوابِ الإنسِ:

أُفحِمَ الجِنُّ فلمْ يَجِدُوا جَوابًا، فتركُوا أولياءَهمْ يُناضِلونَ عَنهُم

وقَولُهُ: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ حِكايةُ جَوابِ الإنسِ بعدَ خِطابِهِمْ، لكنَّهُ أغفلَ حِكايةَ جَوابِ الجنِّ، وسِرُّ الاقتصارِ عَلى جوابِ الإنسِ وإغفالِ جوابِ الجنِّ وإخفائِهِ أنَّ المخاطَبينَ مِنَ الجنِّ قدْ أُفحِموا فلمْ يُجِيرُوا جَوابًا؛ فتَركوا أولياءَهمْ يناضِلونَ عَنهمْ ويدفعونَ عَنْهُمُ التَّوبيخَ[1].

والاقْتصارُ عَلى جَوابِ الإنسِ دونَ جَوابِ الجنِّ مِنْ بابِ أنَّ ماضيَ قولِهِمْ دالٌّ عَلى فِعلِهِمْ، فليسَ لهمْ أنْ يَرُدّوا، ثُمَّ إنَّهُم قَدْ توَعَّدوا المؤمنينَ وجاهَروا بِكُفرِهِمْ فلْيَنتظِروا العذابَ راضينَ أوْ سَاخِطينَ[2].

واقتصارُهُ عَلى حِكايةِ جَوابِ الإنسِ دونَ جَوابِ الجنِّ؛ لأنَّ المشركينَ مِنَ الإنسِ همُ المقصودونَ مِنَ الإتيانِ بالموعِظَةِ في هذهِ الآيةِ[3].

ذِكْرُ حِكايةِ قَولِ الضّالّينَ وعَدَمُ ذِكرِ قَولِ المضلِّينَ فيهِ تَوجيهٌ آخَرُ؛ وهوَ أنَّهُ تَعالى ذكَرَ مِنْ أقوالِهِم ومُناظراتِهِمْ ومُجادلاتِهِمْ في مَواضِعَ أُخرى مِنَ القُرآنِ الكريمِ؛ فإنَّ ذِكْرَ أقوالِ الضُّعَفاءِ التَّابعينَ قُبَالَةَ أقوالِ المتكبِّرينَ المتبوعِينَ يُرامُ منها العِظَةُ والاعْتبارُ؛ فتَفريقُ تِلكَ الأقوالِ عَلى مَواضِعَ في الكتابِ الكريمِ فيهِ مِنَ الحِكمةِ ما لا يَخفى[4] كقولِهِ تَعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: 166]، وقَولِه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: 25] وغَيرِهما.

عِلَّةُ التَّعبيرِ عَنْ حِكايةِ المستقبَلِ بِالفِعْلِ الماضِي:

حِكايةُ قَوْلِهِمْ مُؤكَّدٌ وُقوعُها لا محالةَ

وقَولُهُ: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فيهِ تَعبيرٌ عَنِ الأحوالِ المستَقبليَّةِ بالفعلِ الماضي: ﴿وَقَالَ﴾، بقَرينَةِ قَولِهِ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، معَ

(1) رضا، تفسير المنار: 8/57، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ69.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2666.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ68.
(4) رضا، تفسير المنار: 8/58.

أنَّهُ لمْ يَقعْ بَعدُ؛ وعِلَّتُهُ أنَّ فيهِ تَنبيهًا عَلى تَحقيقِ وُقوعِهِ بِدلالةِ الفعلِ الماضي، وَأنَّهُ مؤكَّدُ الوُقوعِ لا مَحالةَ؛ لِأنَّهُ يستحيلُ أنْ يكونَ بَعضُهُ مُحقَّقًا دونَ بعضِهِ الآخَرِ[1].

نُكتَةُ تَكرارِ شِبْهِ الجُملةِ:

في التَّكرارِ دَفعٌ لِتَوهُّمِ عَودَةِ الهاءِ والميمِ عَلى الإنسِ الأُولَى

وقَولُهُ: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ كرّرَ ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بعدَ ذكرِهِ في قولِهِ: ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ دفعًا لِتَوهُّمِ عَودةِ الهاءِ والميمِ عَلى الإنسِ؛ لِأنَّهمْ أقربُ المذكورينَ، والسَّديدُ أنَّ الضَّميرَ المتَّصلَ (هم) راجعٌ عَلى الشَّياطينِ، و﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ المذكورةُ مرةً أخرى في محلِّ نَصبٍ عَلى الحاليَّةِ عَلى تَقديرِ "وقالَ أولياؤهمْ كائنينَ مِنَ الإنسِ الَّذينَ أطاعوهُمْ واسْتمعوا إلى وَسوَسَتِهِمْ"[2].

عِلَّةُ التَّعبيرِ بِلَفْظِ الرُّبوبيَّةِ:

استِحضارُ اللُّطفِ والإحسانِ والتَّوسُّلِ بالرُّبوبيَّةِ

التَّعبيرُ بِلَفظِ ﴿رَبَّنَا﴾ لَهُ عِلَّةٌ، وهيَ شُعورُهُمْ بِمعاني الرُّبوبيَّةِ الكاملةِ مِنَ اللُّطفِ والتَّدبيرِ والعِنايَةِ وكَمالِ الشَّفَقَةِ مِنَ الرَّبِّ عَلى المربوبِ، وهيَ صِفاتٌ لمْ يَشعروا بِها في الحياةِ الدُّنيا[3]؛ لِما كانوا فيهِ مِنْ ضَلالِهم وعِصيانِهم ومُتابَعةِ أوليائِهِمْ مِنَ الجنِّ.

ولَمّا كانَ الموقفُ عَصيبًا في أنَّ مَصيرَهُم إلى النّارِ؛ فقدْ قَالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ الدَّالُّ عَلى العِنايَةِ واللُّطفِ والتَّدبيرِ والإحسانِ، مُعترفينَ مُستَعطفينَ مُتَوسِّلينَ[4]، ولكنْ بعدَ فَواتِ الأوانِ؛ فَحُكْمُ اللهِ ماضٍ.

تَوجيهُ التَّعبيرِ بِصيغَةِ الاسْتِفْعالِ في ﴿ٱسْتَمْتَعَ﴾:

اسْتِمْتاعُ الجنِّ شُعورُهُمْ بِالتَّعظيمِ والسِّيادَةِ وتَكثيرِ الأتْباعِ

ومَعنى الاسْتمتاعِ في قَولِهِ: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أيْ: أنَّها مُتعةٌ مُتَبادَلةٌ؛ فاسْتِمتاعُ الإنسِ بِالجنِّ؛ أنَّ الإنسَ كانوا يَعوذونَ بِالجنِّ حالَ خَوفِهِمْ في سَفَرِهِمْ بينَ الوِديانِ وشَقِّهِمُ الفَيافيَ والقِفارَ، كما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ69.
(2) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 2/691.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2667.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 7/268.

ذكرَ اللهُ عَنهُم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجنّ: 6]، وأمّا اسْتِمتاعُ الجنِّ بالإنسِ فهوَ شُعورُهمْ بالتَّعظيمِ والسِّيادةِ إذا عاذَ الإنسُ بهم[1].

اسْتِمتاعُ الإنْسِ اسْتِعاذَتُهمْ بِالجنِّ ودَفْعُ أذاهُم

كلٌّ مِنَ الجنِّ والإنسِ أعانَ الآخرَ في تَحقيقِ نَوازعِهِ النَّفسيَّةِ بِما يُلائمُ طَبعَهُ ويَقضي وَطَرَهُ؛ فاسْتِمتاعُ الإنسِ بالجنِّ كائنٌ في انْتِفاعِهمْ بِشَهَواتِهمْ ولَذّاتِهمْ وأهْوائِهمْ وسَلامَتِهمْ مِنْ أذاهُمْ وبَطشِهِم، أمّا اسْتمتاعُ الجنِّ بالإنْسِ فهوَ تكثيرُ أتباعِهمْ، وإعانَتُهُمْ عَلى إضلالِ النّاسِ، وقطْعُ سَبيلِ الصّلاحِ والوقوفُ في وَجْهِ المصْلِحينَ[2].

ومعنى اسْتِمتاعِ الإنسِ بالجنِّ: أنَّ الجنَّ قادُوهُم إلى الشَّهَواتِ، وعرَّفوهُمْ طرائقَ التَّوصُّلِ إليها وزيَّنوا لَهمُ الأمورَ الَّتي يَهوَونَها حتّى يَسهُلَ عَليهِم فِعلُها؛ حيثُ قَبِلوا مِنهُم تحسينَ المعاصي، فَوَقعوا فيها وتلَذَّذوا بِها. واسْتمتاعُ الجنِّ بالإنسِ: طاعَتُهمْ لَهم فيما يُغْرونَهُم بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ والكُفرِ والمعاصي، ومُساعدَتُهم عَلى مُرادِهِم، وشَهوتُهم في إغْوائِهم[3].

قَصْديَّةُ التَّعبيرِ بِلَفْظِ الاسْتِمتاعِ:

الدَّلالةُ عَلى مَنافِعَ مُتَبادَلةٍ بينَ الإنسِ والجِنِّ

وقَصْدُ الاسْتمتاعِ في قَولِهِ: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ تَعدُّدُ وُجوهِها وتَنوُّعُهُ؛ فقَدْ ذكرَ المفَسِّرونَ أَوجُهًا كثيرةً لِهذا الاستِمتاعِ المتَبادَلِ بِحَسَبِ ما سَردْنا مِنْ تَوجيهاتٍ. فكلٌّ مِنَ الفَريقَينِ كانتْ لهُ رَغبةٌ في الاسْتمتاعِ، فاسْتمتَعَ الجنُّ بالإنسِ واسْتمتعَ الإنسُ بالجنِّ؛ إشباعًا لِلرَّغَباتِ، والنَّزواتِ، والملذّاتِ، وإرضاءً لِلذّاتِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/148، وزاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 4/142.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ69.
(3) الواحدي، التّفسير الوسيط: 2/323، والطّيبي، فتوح الغيب: 6/246، والشّوكاني، فتح القدير: 2/183.

فائِدةُ التَّعبير باستِمْتاعِ بعْضِهم ببعضٍ:

الاعـــتـــرافُ بالـتَّـعـاوُنِ على الباطلِ وإشْباعِ الشَّهواتِ

الاسْتِمتاعُ في قَولِه تَعالى: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ مُتَبادَلٌ بينَ الرَّهْطَيْنِ؛ فالبَعضيَّةُ راجِعَةٌ إلى الفريقَينِ، ولَمّا كانَ الكلامُ الآنفُ المشتَمِلُ عَلى التَّوبيخِ ليسَ عائدًا عَلى الإنسِ حَصرًا، وأنَّ الإنسَ راموا دَفْعَ التُّهمَةِ عَنِ الجنِّ بأنَّهمُ المنفَردونَ بالاسْتمتاعِ بلْ هوَ قائمٌ مِنَ الطَّرَفَينِ؛ فإنَّهمْ في ذلكَ أرادوا أنْ يُشاطِروا الجنَّ في جِنايَتِهمْ إقرارًا بالحقِّ وإخلاصًا لأوليائِهمْ[1].

بَلاغةُ الكِنايَةِ في ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾:

مـآلُ التّفريطِ في الـدُّنـيـا الاسْـتِـسـلامُ والـتَّـحَـسُّـرُ والنّدامَةُ

وفي قَولِه تَعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ أسلوبُ كِنايةٍ؛ فليسَ القَصدُ مِنْ ذكرِ بُلوغِ الأجَلِ حقيقَتَهُ، فإنَّهُ لا فائدةَ مِنْ ذكرِهِ ذلكَ اليومَ، وإنّما المرامُ مِنْ ذِكرِهِ لازمُ مَعناهُ؛ فإنَّهُ كِنايةٌ عنْ إظهارِ الحسرةِ والنّدامةِ والأسَفِ عَلى ما فرَّطوا في الدُّنيا، فكانَ أنْ فوَّضوا أمرَهمْ إلَيهِ[2] ﷻ.

نُكتَةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾:

التـــعـــبـــيرُ بـالـمـوصُـولِ عـنِ البَعْثِ دالٌّ عَلى المبالغَةِ وتحقُّقِ الوُقوعِ

استعملَ الاسمَ الموصولَ في قولِه تَعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾؛ لأنَّ الأجَلَ الَّذي أجَّلَهُ لَهمُ اللّهُ تَعالى هوَ الوقتُ؛ وهوَ جِنسٌ؛ فحَسُنَ وصفُهُ بالَّذي[3] أي: الوقتُ الَّذي أجَّلْتَ لَنا، وفُسّرِ بأنَّهُ وقتُ البَعثِ والحشرِ.

والتَّعبيرُ بالاسْمِ الموصولِ يدُلُّ عَلى المبالغَةِ وتحقُّقِ الوقوعِ، والمبالغةُ هُنا تأتي مِنْ كَونِه أعرفَ مِنَ المعرَّفِ بالألفِ واللّامِ، فيما لو قيلَ: (أجَلَنا المؤجَّلَ لَنا)، وهوَ أمرٌ مَعهودٌ عِندَ النَّحْويّينَ في تَرتيبِهمُ المعارفَ، فإنَّهمْ يُقدِّمونَ الاسْمَ الموصولَ عَلى ما يُعرَّفُ بالألفِ واللّامِ، "لأنَّهُ يُعرَفُ بالعَينِ وبالقلبِ، ثُمَّ ما عُرِّفَ بالألفِ واللّامِ؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ69.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/57.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/645.

لأنّهُ يُعرَفُ بالقلبِ فقطْ"[1] فقولُه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾، أبلغُ وأكثرُ تحقُّقًا ممّا لو جاءَ بهِ بالألفِ واللّامِ.

سِرُّ حَذْفِ الهاءِ في ﴿أَجَّلْتَ﴾:

حَـذْفُ العائدِ لِـلـعِـلْـمِ بـهِ وشُهرَةِ حَذْفِهِ في كَلامِ العَربِ

وفي قولِه تَعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ حذَفَ الهاءَ العائِدةَ عَلى الموصولِ المنصوبِ؛ ومَعناهُ الموتُ أو البَعْثُ؛ إذ إنَّ تَقديرَ الكَلامِ (الَّذي أجَّلْتَهُ لَنا)؛ والسِّرُّ في حَذفِهِ العِلْمُ بهِ، فهوَ مَذكورٌ بِدَلالةِ الفِعلَينِ ﴿أَجَلَنَا﴾ و﴿أَجَّلْتَ﴾، ولِكَونِ حذفِ العائدِ المنصوبِ مِنَ الضَّمائرِ مَشهورًا وكَثيرًا في كلامِ العربِ.

التَّعبيرُ عَنِ القَولِ بِالماضِي، وإسْنادُهُ إلى الغائبِ:

الـتَّـسـلـيـمُ للمَصيرِ المَحتومِ مُنتهَى الأمْرِ

عبَّرَ عَنِ القَولِ بالماضي في قَولِهِ تَعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ لأنَّهُ أوضَحُ في اسْتِحكامِ الثَّباتِ؛ فالماضي يَدُلُّ عَلى تحقُّقِ الأمرِ وثباتِه، وفي إسنادِهِ إلى الغَائِبِ ما يُقَوِّي ذلكَ، فإنَّه لا مَفرَّ مِنَ التَّسليمِ بِما أوقعَهُ اللّهُ عَلَيهِم مِنْ مَصيرِهِم وهوَ النّارُ؛ لأنهَّم عاجِزونَ عَنْ مُجادَلَتِهِ ومُحاجَجَتِهِ لو كانَ خاطبَهُمْ أو كلَّمَهُمْ، فكأنَّ الأمرَ قدْ قُرِّرَ وتمَّ وانقَضى.

بيانُ الفَصْلِ في جُملةِ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾:

شَأنُ المُحاوَراتِ الـفـصْـلُ بينَ الجُمَلِ

وقَولُهُ تَعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ جملةٌ مفصولةٌ عمّا سَبقَها، والفَصلُ جارٍ عَلى طَريقَةِ القَولِ في المحاورةِ[2]، فلمْ يَعطِفْ بالواوِ أو الفاءِ؛ وعدَمُ الإتيانِ بالعاطفِ هنا دَفعًا لِتَكرارِ العاطفِ؛ لأنَّ أفعالَ القَولِ مُكرَّرةٌ كما تَقتَضيهِ المحاوَرةُ مِنْ نحوِ (قالَ، وقلْتُ) وهيَ طريقةٌ عربيَّةٌ فَصيحةٌ مُطَّردةٌ في التَّنزيلِ، فكأنَّ فِعلَ القَولِ قدْ عوَّضَ مِنْ ذِكرِ العاطِفِ.

(1) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 2/581.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ70.

وقَولُهُ تَعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ اسْتِئنافٌ بَيانيٌّ ناشِئٌ عَنْ حِكايَةِ كَلامِهِم[1] فكأنَّ سائِلًا قالَ: ماذا قالَ اللّهُ تَعالى بعدَ أنْ أطاعوا الشَّياطينَ واتَّبعوا الهَوى وكذَّبوا بِالبَعْثِ؟ فجاءَ الرَّدُّ العادِلُ بِأنَّ جَهنَّمَ هيَ قَرارُهُم.

ذِكرُ الخُلودِ دفعٌ لظَنِّ تَحوُّلِ أَهْلِ النَّارِ عَنها

وَجْهُ ذِكْرِ الخُلودِ مَعَ المثوَى ﴿ٱلنَّارُ﴾، وحذْفِه معَ ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾:

تَعقيبُ المثوى بِالخلودِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ لِأنَّ المثوى اسْمُ مَكانٍ لِمَنْ أقامَ بِهِ إقامَةً سُكنى قَدْ يُظَنُّ أنَّهُ يَتحوَّلُ عَنهُ؛ فَجاءَ بِخالِدينَ لِيَكونَ مِنْ تَمامِ ما يُقالُ لَهُمْ في الحَشرِ[2]، فهوَ مُتَعلِّقٌ بِما قَبلَهُ ومِنْ لوازِمِهِ، ولَفظَةُ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ تَرسيخٌ لِلمكانِ الَّذي يَستقرّونَ فيهِ، ومَعناهُ البَقاءُ الدّائِمُ بِمشيئَةِ اللّهِ تَعالى الخالِدَةِ، وبِإنذارِهِ بِذلكَ في عِدَّةٍ مِنْ آياتِهِ[3]. أمّا عندَما عبَّرَ بـ ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ فلَيستْ بِها حاجَةٌ إلى تَقْييدِها بِوَصفِ الخُلودِ والدَّيمومَةِ، فهذهِ الدّارُ الَّتي هيَ دارُ الرَّحمنِ ودارُ السَّلامةِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ مُستقَرٌّ ومَكانٌ لِلخُلودِ، فَضلًا عَنْ تعقيبِها بِقَولِهِ: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾.

يَحتمِلُ عَوْدُ الضَّميرِ عَلى الفَريقَينِ

تَوجِيهُ عَوْدِ ضَميرِ الخِطابِ في جُملةِ: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾:

وضَميرُ الخِطابِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ راجِعٌ إلى الإنسِ الَّذينَ اتَّخَذوا الشَّياطينَ أولياءَهُمْ فَهُمُ المَقصودونَ بِذلكَ الخِطابِ[4].

ويُحتمَلُ عَودُ الضَّميرِ عَلى المُطاعينَ مِنَ الجنِّ والتّابِعينَ لَهُمْ مِنَ الإنسِ؛ فجوابُ اللّهِ تَعالى بِقَولِهِ: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾؛ مَأواكُم ومَنزِلُكُم أنتم وأولياؤكُم، يَعني أنَّ عُذرَكُم هذا عُذرٌ بارِدٌ غَيرُ مَقبولٍ، لا حُجَّةَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/185.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ70.
(3) ابو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2667.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ70.

لَكُم فيهِ، وأنتم وإيّاهُم في النّار[1].

دَلالَةُ الاسْتِثناءِ، وفائدَتُهُ:

دلَّ الاستِثناءُ على تخفيفِ العذابِ ويَحتمِلُ الاستثناءُ تهكُّمًا شَديدًا

دَلالَةُ الاسْتِثناءِ في مَشيئَتِهِ تَعالى في: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ بمعنى تَخفيفِ العَذابِ عَلى مَنْ يَشاءُ تَعالى مِنَ الخالِدينَ، أوْ نَجاةِ مَنْ لمْ يكنْ عندَهُ الشِّركُ مُعتقَدًا راسخًا[2]. فخالِدينَ فيها إلّا ما شاءَ اللّهُ عَدَمَ خُلودِهِ مِنَ العُصاةِ الَّذينَ أُدخِلوا فيها لِتُمحِّصَهُم وتُطَهِّرَهُم مِنَ الذُّنوبِ، وغايةُ ما في البابِ أنَّهُ أطلَقَ ﴿مَا﴾ وأرادَ (مَنْ)، وإطلاقُ ﴿مَا﴾ مُرادًا بِها (مَنْ) كثيرٌ في القُرآنِ، كقَولِه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النّساء: 3]، أي: مَنْ طابَ لَكُم[3].

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ الاسْتِثناءُ في المشيئةِ في أُناسٍ مُخَلَّدينَ في النّارِ إلّا الأوقاتَ الَّتي يُنقلونَ فيها مِنْ عَذابٍ إلى آخرَ، كَنقلِهِمْ مِنْ عَذابِ النّارِ إلى عَذابِ الزَّمهريرِ الَّذي يُميِّزُ بَعْضَ أَوْصَالِهِمْ مِنْ بَعْضٍ لِشِدَّتِه، حتّى إنَّهمْ يطلُبونَ أنْ يُرَدّوا إلى الجَحيم[4].

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ الاسْتِثناءُ مُتعلِّقًا بِقَولِ المَوتورِ الَّذي ظفرَ بِواترِه، فطَلَبَ هذا الأخيرُ أنْ يُنفَّسَ عنهُ، فوعَدَهُ بذلكَ تَشفّيًا منهُ بأشَدِّ ما يكونُ وَأَعْنَفِه، لا حقيقَةً في كَشفِ الضُّرِّ عنهُ؛ وإنّما تهكُّمًا بالموعِدِ لِخروجِهِ عَلى طَريقَةِ الاسْتِثناءِ[5].

تَوجِيهُ الاعتِراضِ في جُملةِ الاستثناءِ:

مَشيئةُ اللهِ تعالى مُطلقةٌ لا تَتقيَّدُ ولا تَتحدَّدُ

ويجوزُ أن يكونَ قَولُهُ تَعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ مِنْ خِطابِهِ تَعالى لِرَسولِهِ ﷺ، فوقعَتْ هذهِ الجملةُ اعتراضًا بينَ ما قَصَّهُ الحقُّ ﷻ عَليهِ مِنْ أحوالِ المشركينَ وحَشْرِهِمْ معَ أوليائِهِمْ، وبينَ ما ذيَّلَ بِهِ الآيةَ مِنْ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/339، والشنقيطي، العذب النمير: 2/244.
(2) القاسمي، محاسن التّأويل: 4/489.
(3) الشّنقيطي، العذب النّمير: 2/244.
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 2/65.
(5) الزّمخشري، الكشّاف: 2/65، والقاسمي، محاسن التّأويل: 4/489.

قَولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ لِيكونَ الوقْفُ عَلى خالِدينَ فيها[1].

وَجْـهُ الكِنـايَةِ التَّعبيرُ عَنْ مَخضِ إرادتِـهِ تَعالى وكَمالِ قُدْرَتِهِ

بَلاغةُ الكِنايَةِ في جُملةِ الاسْتِثناءِ:

وإذا لمْ يُمكنِ الوَقْفُ عَلى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ بلْ عَلى جَعلِها مِنْ جملةِ المقولِ في الحَشرِ، فإنَّ الاسْتِثناءَ هُنا لا يُقصَدُ مِنهُ إخراجُ الوَقتِ والأحوالِ كما هوَ الحالُ في التَّعريفِ الاصطلاحيِّ لِلاسْتِثناءِ[2]، وإنَّما التَّعبيرُ بهِ مِنْ بابِ الكِنايَةِ؛ فالَّذي يُقصَدُ مِنْ ذلكَ الخلودِ الإشارةُ إلى قُدرةِ الحقِّ ﷻ عَلى وجهِ الاختيارِ، ولِيُظهِرَ تَمامَ قُدرَتِه ومَحضَ إرادَتِه[3]، فهوَ يفعلُ ما يُريدُ وأنّى يُريدُ وكيفَ يُريدُ؛ فذِكرُ المشيئَةِ هُنا عامَّةٌ تدُلُّ عَلى أنَّهُ يَشاءُ ذلكَ وهوَ خلودُهُم، وأنَّهُ يُمكِنُ أنْ يَشاءَ غَيرَ ذلكَ[4].

المصْدريَّةُ تَحتملُ الظَّرفيَّةَ لتَشمَلَ عُمومَ الأَزْمنةِ

دَلالةُ ﴿مَا﴾ بينَ المصْدريَّةِ والموصُوليَّةِ:

﴿مَا﴾ في قَولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ تَحتمِلُ وُجوهًا عِدَّةً فصَّلَها الطّاهِرُ بنُ عاشورٍ عَلى النَّحوِ الآتي[5]:

في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ تَحتملُ ﴿مَا﴾ أنْ تكونَ ظرفيَّةً مَصدريَّةً، ويكونُ الاسْتِثناءُ على بابِه، فتكونُ الجملةُ اسْتِثناءً إمّا مِنْ عُمومِ الأزمنَةِ، فيكونُ الفعلُ بعدَها عَلى تَأويلِ مَصدَرٍ، فيكون تَقديرُ الكَلامِ: (خالِدينَ فيها إلَّا وقتَ مَشيئَتِه تَعالى أنْ يُزيلَ خُلودَكُمْ)، وإمَّا من عُمومِ الخالدينَ الَّذي في ضمير ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أي إلَّا فريقًا شاءَ اللّهُ أن لا يخلدوا في النَّار[6].

وتَـحـتـمِـلُ غَـيرَ الظَّرفيَّةِ فتكون تَهديدًا وتَحذيرًا لِلمُشركينَ

وتَحتمِلُ أنْ تكونَ مصدريَّةً غَيرَ ظَرفيَّةٍ، ويكونَ الاسْتِثناءُ مُعترِضًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ71.
(2) الاسْتِثناءُ هو "الإخراجُ بإلاّ أو إحدى أخواتِها لِما كانَ داخِلاً أو مُنزَّلاً مَنزِلَةَ الدّاخل"، يُنظر: الأشموني، شرح على ألفيّة ابن مالك: 1/502.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ72.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2668.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ71 - 72.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ71.

بينَ حِكايَةِ ما يُقالُ لِلمُشركينَ وقْتَ حَشرِهِمْ وبينَ ما خوطبَ بهِ الرّسولُ ﷺ، فيكونُ هذا الاعْتِراضُ تَهديدًا وإعذارًا للمُشركينَ الأحياءِ أنْ يُسلموا، فيكونُ التَّقديرُ: إلَّا أنْ يشاءَ اللّهُ عدَمَ خُلودِهِمْ، أيْ: في تلكَ الحالِ الَّتي يوفِّقُ فيها بعضَ المشركينَ لأنْ يُسلِموا في حَياتِهِمْ.

في الموصوليَّةِ اسْتِثناءٌ لِأقوامٍ سبَقَ في عِلمِهِ أنَّهمْ يُسلِمونَ

وتَحتمِلُ أنْ تكونَ مَوصولةً بِمعنى (مَنْ)؛ فإنّها تُستعمَلُ لِلعاقلِ بِكَثرةٍ، فقدْ نُقلَ عنِ ابنِ عَبّاسٍ أنَّ الحقَّ ﷻ اسْتثنى أقوامًا سبَقَ في علمِهِ أنَّهمْ يُسلمونَ، وعَلَيهِ يجبُ تأويلُهُ، لِأنَّ أهلَ العلمِ مُجمِعونَ عَلى اسْتحالةِ أنْ يَغفرَ اللّهُ لِلمشركينَ.

استحقاقُ الخلودِ في النّارِ مَنوطٌ بالشّركِ، والنّجاةُ مِنهُ مَنوطةٌ بالإيمانِ

نُكتةُ التَّذْييلِ في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

وقَولُه تَعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ تَذييلٌ مُقرِّرٌ لِما قَبْلَهُ، وإقفاءٌ لِما ذَكرَ مِنْ مَشيئتِهِ تعالى وتأكيدٌ لها في أنّهُ جَعلَ العذابَ مَنوطًا بموتِهِمْ وهمْ مُشركونَ، ثمَّ جعلَ النَّجاةَ مِنْ خُلودِهِمْ مَنوطةً بإيمانِهِمْ[1].

ختمَ الحقُّ ﷻ الآيةَ بِصفةِ الرُّبوبيَّةِ والحِكمَةِ والعِلمِ بعدَ المشيئةِ؛ فإنّها تَسيرُ بِمُقتضى الرُّبوبيَّةِ والعِنايةِ الإلهيَّةِ، وتَسيرُ بِمُقتَضى حِكمتِهِ الَّتي تُقدِّرُ الأمورَ في إيقاعِ العذابِ عَلَيهِم وخُلودِهِم، وأنَّهُ ما خلقَ شيئًا عَبثًا، وأنَّ ذلكَ التَّدبيرَ وهذا الخَلْقَ كانَ بِمُقتَضى عِلْمِهِ الَّذي أحاطَ بكلِّ شَيءٍ، ووَسِعَ كُلَّ شَيءٍ[2].

تَوجيهُ الاعْتِراضِ في جُملةِ الفاصلَةِ:

ما رَتَّبهُ اللهُ عَلى الشِّركِ مِنَ الخلودِ كانَ بِحِكْمتِهِ وعِلْمِهِ

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ جملةٌ مُعترضةٌ بينَ الجملِ المقولةِ لِأولياءِ الجنِّ في الحَشرِ، وغَرضُها بيانُ أنَّ ما رتَّبهُ الحقُّ ﷻ عَلى الشِّركِ هوَ خُلودُهمْ في النّارِ[3]؛ وما ذاكَ إلَّا بِما اقْتضَتْ حِكمتُه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ73.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2669.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ72.

تعالى وما أحاطَ به عِلْمُه.

الخُلودُ في النّارِ صَدَرَ عنْ حكيمٍ عَليمٍ بالأحوالِ كُلِّها

صِيغةُ التَّعبيرِ بـ ﴿حَكِيمٌ﴾ و﴿عَلِيمٌ﴾ في الفاصلةِ:

والتَّعبيرُ بصفتَي الحَكيمِ والعَليمِ فيهِ تَلاؤمٌ دقيقٌ معَ سياقِ الآيةِ؛ فإنَّ خلودَ هؤلاءِ الكفَرةِ في النّارِ ما كانَ عَبثًا، وإنّما هوَ فعلٌ صادرٌ عنْ حِكمةٍ وعِلْمٍ بِمَواقِعِ الأشْياءِ[1]، فالحَكيمُ هوَ مَنْ يضَعُ الأشياءَ مَوضِعَها، ولإظهارِ أنَّ قضاءَ اللّهِ وقَدرَهُ عَلى عِبادِهِ مَبنيٌّ عَلى حِكْمتِهِ البالغةِ وعِلْمِهِ الشّاملِ؛ فاللّهُ تعالى هوَ الحكيمُ الَّذي لا يفعلُ شيئًا إلَّا لِحكمةٍ عَظيمةٍ، ولا يُضيعُ أجرَ المحسنينَ. والعليمُ هوَ المحيطُ بِأحوالِكُمُ المستحِقَّةِ لِلثَّوابِ والعِقابِ، الَّذي لا تَخفى عَلَيه خافيةٌ في السَّمَاواتِ ولا في الأرضِ، ولا يغيبُ عنهُ شَيءٌ مِنْ أفعالِ الخلائقِ وأحوالِهِم؛ فهوَ يَجزي كُلَّ نفْسٍ بِما كسبَتْ، ولا يَظلِمُ سبحانَه أحَدًا.

وَقَـعَـتْ صِـفـةُ الـعـلْـمِ مَـوقـعَ العِلَّةِ للحِكْمةِ

سِرُّ تقديمِ الحِكْمَةِ عَلى العِلْمِ:

السّياقُ في هذهِ الآيةِ يَقتضي تَقديمَ الحِكمَةِ عَلى العِلْمِ؛ فهوَ حكيمٌ لا يُعذِّبُ المُخلِصَ ويَترُكُ المُشرِكَ، عليمٌ بما يَدِقُّ مِنَ الأمورِ وما يَعظُمُ، فلا يَخفى عَلَيهِ شَيءٌ[2].

وقدّمَ الحكيمَ عَلى العليمِ لأنَّ السّياقَ في الجَزاءِ واسْتِحقاقِ الكافرينَ العذابَ والخلودَ، وهوَ ما يَليقُ بِالحِكمَةِ أكثر مِنَ العِلْمِ؛ فالمقامُ مَقامُ تَشريعِ الأحكامِ[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(المثوَى)، و(الدّارُ)، و(المُقامُ)، و(المنزِلُ)، و(المَصيرُ)، و(المَقَرُّ):

آثرَ التَّعبيرَ بِالمَثوى في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ عَلى ألفاظٍ أُخرَ مُتَقارِبَةِ المعنى؛ لِمُطابَقتِها السّياقَ الواردةَ فيهِ أيَّما

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/346.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 7/269 - 270.
(3) الزّركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/262.

مُطابقَةٍ، ومعنى: "مَثواكُم يعني مَأواكُم"[1]، والمثوى هوَ المأوى والمَسكَنُ والمَنزِلُ لكنْ على نيّةِ الإطالةِ في الإقامةِ فيه[2]، وهذه عَلامةٌ فارقةٌ، وآيةُ ذلكَ أنَّه أتبعَهُ بقولِه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، ففيهِ تَمْتينٌ لِهذا المعنى وتَرصينٌ لاسْتعمالِه لَفظَ المثوى وإيثارِه على غيرِه مِنَ الألفاظِ الأُخرى المتقارِبَةِ الَّتي يشوبُها ضَعفٌ أو اخْتلافٌ أو عَدَمُ مُناسَبَةٍ أو بُعدٌ عنْ سياقِ الآيةِ، كما سَيتبيَّنُ مِنْ مَعرفةِ مَعاني الألفاظِ الَّتي تُقارِبُ المثوى مِنْ جِهَةِ المعنى.

المثوَى هو المأْوَى على نيّةِ الإطالةِ في الإقامَةِ ممّا يَتناسَبُ معَ الخلودِ، وليس كذلكَ معَ الألفاظِ الأُخرى

فالمقامُ: معناهُ مَوضِعُ القيامِ، أمّا المصيرُ: فهوَ تحويلُ الشَّيءِ إلى نقيضِ الحالِ الَّتي هوَ عَلَيها[3]، والمنزلُ: مُشتَقٌّ مِنَ النُّزلِ، وعامةُ مَعناهُ يدُلُّ عَلى اللُّبْثِ مُدّةً قصيرةً كالنَّزيلِ بمعنى الضَّيفِ، والنِّزالُ في الحربِ بمعنى المُبارزَةِ، ومِنْ مَعانيهِ المطرُ القليلُ[4]، والمقرُّ: هوَ "المرجِعُ الَّذي يَرجعُ إليهِ مَنْ فارقَهُ"[5]، والدّارُ: الأصلُ في الدّالِ والواوِ والرّاءِ دَلالتُها عَلى إحداقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ وإحاطَتِهِ بِهِ مِنْ حَوالَيهِ؛ فالأصلُ في معناها الإحاطةُ لا الإقامَةُ والسُّكْنى[6].

الحكيم والعليم:

وردَتِ الصِّفتانِ في قولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فالحكيمُ صيغةُ مُبالغةٍ، ويُطلَقُ الحكيمُ على العَالِمِ صاحبِ الحكمةِ الَّذي يُتقِنُ الأمورَ[7]، أمّا العليمُ فهوَ الَّذي إنْ وُجدَ معلومٌ فلا شكَّ في أنَّه يَعلَمُهُ[8]؛ فالحكيمُ أدخَلُ مِنَ العليمِ في مَعرفةِ بَواطنِ الأمورِ وما تَقتضيهِ المصلَحَةُ، والمقامُ مَقامُ تَشريعٍ؛ ولِذلكَ قدَّمهُ في الآيةِ.

الحكيمُ صاحِبُ الحِكمةِ المتقِنُ لِلأمورِ، والعَليمُ إنْ وقعَ مَعلومٌ فهو يَعلمُهُ

(1) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 1/371.
(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (ثوي).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 537، 492.
(4) الصّاحب بن عبّاد، المحيط في اللّغة: (نزل).
(5) الزّبيدي، تاج العروس: (بوأ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دور).
(7) الكفوي، الكلياتِ، ص: 380.
(8) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 347.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»